من بلاغة النبي ﷺ

في

أحاديث الحجر الصحي

الدكتور

محمد عبد الفتاح إبراهيم راغب النجار

مدرس البلاغة والنقد

في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

جامعة الأزهر

من بلاغة النبي ﷺ في أحاديث الحجر الصحي

محمد عبد الفتاح إبراهيم النجار
قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، إيتاي البارود، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: mohammedelnggar.419@azhar.edu.eg

الملخص: مع انتشار فيروس كورونا المستجد "كوفيد-١٩" في جميع أنحاء العالم لجأت الدول إلى تطبيق الحجر الصحي للسيطرة على هذا المرض والحد من انتشاره، وهو إجراء صحي دعا إليه النبي – ﷺ– قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا من اكتشاف العلماء للكائنات الدقيقة وطرق تكاثرها وانتشارها وتسببها في حدوث الأمراض والأوبئة، بل يرى البعض أن النبي محمد – ﷺ– هو أول من أسس لمفهوم الحجر الصحي، فقد بيَّن النبي ﷺ مبادئه، وأرسى دعائمه ببيان شافٍ كافٍ في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، فمنع الناسَ من دخول البلدة المصابة بالوباء، ونهى كذلك أهل تلك البلدة من الفرار منها، سواء أكان هذا الشخص الفار ظاهرًا عليه علامات الإصابة أم لا.

وقد وجهت وجهي نحو كتب السنة لأجمع الأحاديث النبوية التي وردت في الحجر الصحي، ثم قسمتها على ثلاثة مباحث، ثم قمت بدراسة تلك الأحاديث دراسة بلاغية تحليلية معتمدًا على المنهج التحليلي الذي يعنى بالنظرة الشمولية للنص، واقتفاء أثر النظم، وتتبع كل عنصر فني فيه يكون من شأنه أن يسهم في الكشف عن المعنى وفهم بيانه – ﷺ– ومدى تلاؤم ألفاظه، وترابط جمله، وتناسق دلالاته، وما يتبع ذلك من دقة في استخدام المفردات والحروف. وكان هذا العمل رغبة في إظهار عظمة الدين الإسلامي، ومحاولة للكشف عن جانب من جوانب الإعجاز النبوي، ولا شك أن مثل هذه البحوث تزيد المؤمنين إيمانًا مع إيمانهم، وتسهم في الدعوة إلى الله – ﷻ– وإلى الدين الإسلامي، وتزكي قيمته في نفوس العالمين.

الكلمات المفتاحية: بلاغة النبي– الحجر الصحي - الكورونا – الوباء- الطاعون.

From the eloquence of the Prophet, may God bless him and grant him peace, in the hadiths of quarantine

Mohammed Abdel Fattah Ibrahim Al-Najjar
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Itay Al-Baroud, Arab Republic of Egypt.
Email: mohammedelnggar.419@azhar.edu.eg

Abstract: With the spread of the new Corona virus "Covid-19" around the world, countries resorted to applying quarantine to control this disease and limit its spread, which is a health measure called by the Prophet more than fourteen centuries before scientists discovered microorganisms And the methods of their multiplication, spread, and their cause of disease and epidemics, and some believe that the Prophet Muhammad was the first to establish the concept of quarantine, for the Prophet explained his principles and laid his foundations with a sufficiently satisfactory statement in a number of noble prophetic hadiths, preventing people from entering the affected town It also prevented the people of that town from fleeing from it, whether this fleeing person showed signs of infection or not.

I directed my face towards the Sunnah books to collect the hadiths of the Prophet that were mentioned in the quarantine, then divided them into three sections, then I studied these hadiths an analytical rhetorical study based on the analytical approach that deals with the holistic view of the text, tracing the effects of systems, and tracing every technical element in it that is from It would contribute to revealing the meaning and understanding its statement and the extent of the compatibility of its words, the coherence of its sentences, the consistency of its connotations, and the subsequent accuracy of the use of vocabulary and letters. This work was a desire to show the greatness of the Islamic religion, and an attempt to uncover an aspect of the Prophet's miracles, and there is no doubt that such research increases the believers' faith with their faith, and contributes to the call to God --and the Islamic religion, and emphasizes its value in the hearts of the worlds.

Key words: Rhetoric of the Prophet - Quarantine - Corona - Epidemic - Plague

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الحكيم : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك علي الله يسير (٢٢) لكيلا لا تأسوا علي ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ (سورة الحديد: ٢٢-٢٣) والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب اللسان المبين، والمنطق المستقيم، والحكمة البالغة والمعجزة الخالدة . اللهم صل عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين، وارض اللهم عنا معهم أجمعين، اللهم آمين، وبعد.

فمع مطلع هذا العام، عام ألفين وعشرين من الميلاد، وبين عشية وضحاها استيقظ العالم بأسره على وباء عظيم وشر مستطير، ألا وهو وباء كورورنا "كوفيد-١٩" – عجَّل الله برفعه ووقانا شروره- وقد هَبَّتْ رياح هذا الوباء من مدينة ووهان الصينية وانتشرت في كل أنحاء العالم كانتشار النار في الهشيم، ووقفت أقوى الدول وأعتاها عاجزة خائرة القوي أمام هذا الفيروس، ولجأت أكثر الدول إلى تطبيق الحجر الصحي للسيطرة على هذا الوباء والحد من انتشاره .

والحجر الصحي إجراء صحي وقائي دعا إليه النبي – ﷺ- قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا من اكتشاف العلماء للكائنات الدقيقة وطرق تكاثرها وانتشارها وتسببها في حدوث الأمراض والأوبئة، بل يرى البعض أن النبي محمد – ﷺ- هو أول من أسس لمفهوم الحجر الصحي، فقد بيَّن النبي ﷺ مبادئه، وأرسى دعائمه ببيان شافٍ كافٍ في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، فمنع الناسَ من دخول البلدة المصابة بالوباء، ونهى كذلك أهل تلك البلدة من الفرار منها، سواء أكان هذا الشخص الفار ظاهرًا عليه علامات الإصابة أم لا.

وقد وجهت وجهي نحو كتب السنة لأجمع الأحاديث النبوية التي وردت في الحجر الصحي، ثم قسمتها على ثلاثة مباحث، وقمت بدراسة تلك الأحاديث دراسة بلاغية تحليلية معتمدًا على المنهج التحليلي الذي يعنى بالنظرة الشمولية للنص، واقتفاء أثر النظم، وتتبع كل عنصر فني فيه يكون من شأنه أن يسهم في الكشف عن المعنى وفهم بيانه – صلى الله عليه وسلم– ومدى تلاؤم ألفاظه، وترابط جمله، وتناسق دلالاته، وما يتبع ذلك من دقة في استخدام المفردات والحروف.

أما بالنسبة لبناء البحث وخطته، فقد اقتضت طبيعته أن يكون فى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: تحدثت فيها عن موضوع البحث، وأهميته، والفكرة التى يقوم عليها بإيجاز، والمنهج الذى سرت عليه فى معالجته.

التمهيد: تناولت فيه تعريف الحجر الصحي في اللغة وفي الاصطلاح الطبي، وأشرت إلى هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – الوارد في هذا الإجراء الصحي الوقائي، وكيف أسس مبادئه وأرسى دعائمه.

المبحث الأول: الأمر بالحجر الصحي.

المبحث الثاني: النهي عن الفرار من أرض الوباء.

المبحث الثالث: الطاعون رحمة للمؤمنين.

ثم الخاتمة: وذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

ثم ذيلت البحث بالفهارس الفنية التفصيلية.

وبعد، فلست أدعي أنني قد وفيت هذا البحث قدره، ولكن حسبي أنني اجتهدت قدر طاقتي، ولم أدخر وسعًا في سبيل تجويد هذا العمل، ولا يُعَد هذا البحث إلا محاولة جادة إذا أصابها التوفيق من الله تعالى، وإن كانت الأخرى فمن قصورى لا تقصيرى، ومن عجزى أمام هذا البيان النبوي الشريف الذى كلما ازددت منه علمًا ومعرفة، ازددت معرفة بجهلى وضعفى وعجزى " وهل يدرك المرء من آثار الشمس غير الضوء والحرارة؟ وهل يعلم من أسرار

الروض غير العطر والنضارة ؟ وهل يجد في نفسه من أغوار البحر غير الشعور بالجلالة والروعة؟[1].

والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يغفر لي ما به من زلل، وألا يحرمني شرف صحبة النبي محمد – ﷺ في الآخرة والشرب من يديه الكريمتين شربة هنيئة لا أظمأ بعدها أبدًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

د/ محمد عبد الفتاح إبراهيم النجار
مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
الإسكندرية: ١٨ من شهر صفر ١٤٤٢هـ
الموافق: ٥ من أكتوبر ٢٠٢٠م.

(١) وحي الرسالة : أحمد حسن الزيات ، ١٠٥/٣دار الثقافة. بيروت ، ط السادسة، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

التمهيد

تعريف الحجر الصحي:

في اللغة : الحَجْرُ والحِجْر والحُجْرُ والمَحْجر ، كل ذلك الحرام ، وَيُقَالُ: تَحَجَّرَ عَلَى مَا وَسَّعه اللهُ أَي حَرَّمَهُ وضَيَّقَهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: " لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا"(١) أي ضيقت ما وسعه الله وخصصت به نفسك دون غيرك ، وقد حَجَرَهُ وحَجَّرَهُ. وَفِي القرآن الكريم:﴿ **وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً** ﴾[الفرقان: ٢٢] أي حرامًا محرمًا.

وأَصل الحجر فِي اللُّغَة: مَا حَجَرْتَ عَلَيْهِ أَي مَنَعْتَهُ مِنْ أَن يُوصَلَ إليه، وَكُلُّ مَا مَنَعْتَ مِنْه فَقَدْ حَجَرْتَ عَلَيْهِ ؛ وَكَذَلِكَ حَجْرُ الحُكَّامِ عَلَى الأَيتام : مَنْعُهم؛ وَكَذَلِكَ الحُجْرَةُ الَّتِي يَنْزِلُهَا النَّاسُ، وَهُوَ مَا حَوَّطُوا عَلَيْهِ . والحَجْرُ: مَصْدَرُ حَجَر عَلَيْهِ الْقَاضِي يَحْجُر حَجْراً إِذا مَنَعَهُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِه(٢).

---

(١) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة ﷺ، وتمام الحديث: " قال أبو هُرَيْرَةَ ﷺ: دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: "لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا"، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ ، أَهْرِيقُوا عَلَيْهِ دَلْوًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ " حديث رقم:٧٢٥٥ جـ ١٢ ص ١٩٧ ت: شعيب الأرنؤوط ، وعادل مرشد ، وآخرون – مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

(٢) – ينظر: لسان العرب/ جمال الدين بن منظور الأنصاري الإفريقي: مادة حجر جـ ٤ ص ١٦٦. دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

وفي الاصطلاح الطبي:

"هو عزل أشخاص بعينهم، أو أماكن، أو حيوانات، قد تحمل خطر العدوى، وتتوقف مدة الحجر الصحي على الوقت الضروري لتوفير الحماية، في مواجهة خطر انتشار أمراض بعينها"(١)

وقد عرف المسلمون نوعين من الحجر الصحي، الحجر المكاني للأشخاص، وحجر الحيوانات، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الدخول أو الخروج من البلد الذي تنتشر فيه الأوبئة كالطاعون مثلًا، كما أمر ألا يأتي صاحب الحيوانات المريضة بحيواناته لترعى مع الحيوانات السليمة.

أما الحجر الصحي الذي تطبقه الدول في العصر الحالي فيعود إلى مدينة البندقية في القرن الرابع عشر الميلادي، حيث أدركت سلطات المدينة أن السفن المقبلة من شرقي البحر المتوسط كانت سببًا في نقل بعض الأوبئة إلى المدينة، وفي البداية كانت السفن تعزل لمدة ثلاثين يومًا، ولكن هذه المدة زيدت في وقت لاحق إلى أربعين يومًا . وقد افتتحت البندقية أول محجر صحي، وذلك على جزيرة قريبة منها في عام " ١٤٣٢ م"، وسرعان ما تبنت البلاد الأخرى هذا النظام، وأصبح نموذجًا لعملية ضبط الحجر الصحي الدولي على امتداد قرون أعقبت ذلك.أما اليوم ومع توافر الفهم الأوضح للأمراض المعدية فإن الحجر الصحي للبشر نادرًا ما يكون أمرًا ضروريًا، غير أن الحجر الصحي الدولي ربما يستمر العمل به في الموانئ والمطارات ونقاط الحدود، وذلك في حالة ما إذا تم العثور على إصابة أكيدة بمرض معدٍ خطر، مثل الكوليرا، أو الطاعون الدبلي على متن سفينة أو طائرة أو قطار، وإذا ما وجد مثل هذا المرض، فإن السفينة لابد لها من المكوث في المرفأ مع رفعها للرآية الصفراء.

---

(١) الموسوعة العربية العالمية : مجموعة من العلماء : ٨٨/٩ مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية : ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م ، الرياض ، المملكة العربية السعودية.

وقد قامت دول كثيرة بإصدار قوانين لحماية أراضيها ومواطنيها من الأمراض، فعلى سبيل المثال قامت الحكومة البريطانية بمقتضى قانون تم إصداره في سنة ١٩٧٩ م بوضع لوائح للحجر الصحي تُطبق على أي سفينة أو طائرة تصل بريطانيا على متنها حالة مؤكدة من حالات الإصابة بوباء يتعرض له البشر، كما يتم أيضًا – بمقضى هذا القانون – اخضاع السفن والطائرات للحجر الصحي، إذا ما وصل من بلاد تنتشر فيها عدوى أمراض معدية، مثل الحمى الصفراء.(١)

الهدي النبوي في الحجر الصحي:

دعى سيدنا محمد ﷺ لهذا الإجراء الطبي قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا من اكتشاف العلماء للكائنات الدقيقة وطرق تكاثرها وانتشارها وتسببها في حدوث الأمراض والأوبئة، بل يرى البعض أن الإسلام هو أول من أسس لمفهوم الحجر الصحي. فقد بيَّن النبي ﷺ مبادئ الحجر الصحي، وأرسى دعائمه ببيان شافٍ كافٍ في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، فمنع الناس من الدخول إلى البلدة المصابة بالوباء، ومنع كذلك أهل تلك البلدة من الخروج منها، سواء أكان الشخص مصاباً بهذا الوباء أم لا، فعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَسْأَلُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الطَّاعُونِ؟ فَقَالَ أُسَامَةُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا، فِرَارًا مِنْهُ(٢)".

كما حذر النبي – ﷺ – من مخالفة قواعد الحجر الصحي وقت انتشار الوباء؛ وجعل عقاب الفار من أرض الوباء كعقاب الفار من الزحف

(١) ينظر السابق: ٨٨/٩.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الغار، حديث رقم: ٣٤٧٣، جـ ٤ ص ١٧٥ ، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر– دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

الذي يُعدُّ من كبائر الذنوب، وجعل كذلك للصابر في أرض الوباء أجر الشهيد، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " الْفَارُّ مِنَ الطَّاعُونِ، كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ، وَالصَّابِرُ فِيهِ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ(١)".

كما حملت الأحاديث الواردة في الحجر الصحي بشارة للأمة الإسلامية وكشفت عن خصوصية من خصوصياتها – وهي كثيرة–، وذلك أن الله – ﷻ– قد جعل الوباء والطاعون الذي كان عذابا لغيرها رحمة لها ؛ فالطاعون الذي كان يبعثه عذابًا لغيرها من الأمم تحول برحمة الله ثوابًا وأجرًا عظيمًا، فعن السيدة عَائِشَةَ– رضي الله عنها– أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: " أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ"(٢)

وهكذا جمع النبي ﷺ في نهيه عن الدخول إلى الأرض التي بها الوباء، ونهيه عن الخروج منها كمال التحرز منه؛ فإن في دخول الأرض التي هو بها تعرضًا للبلاء، وموافاة له في محل سلطانه، وإعانة للإنسان على نفسه، وهذا مخالف للشرع والعقل، بل تجنب الدخول إلى أرضه من باب الحمية التي أرشد الله سبحانه إليها، وهي حمية عن الأمكنة، والأهوية المؤذية. وأما نهيه عن الخروج من بلد الوباء، ففيه معنيان:

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، حديث رقم: ١٤٨٧٥ – ١٥٩/٢٣ ت : شعيب الأرنؤوط – وعادل مرشد، وآخرون – إشراف : د عبد الله بن عبد المحسن التركي – مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الطب ، باب أجر الصابر في الطاعون، حديث رقم: ٥٧٣٤، جـ ٧ ص ١٣٩ ، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر– دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

أحدهما: حمل النفوس على الثقة بالله، والتوكل عليه والصبر على أقضيته والرضا بها.

والثاني: ما قاله أئمة الطب : أنه يجب على كل محترز من الوباء أن يخرج.

ففي النهي عن الدخول في أرضه الأمر بالحذر والحمية والنهي عن التعرض لأسباب التلف، وفي النهي عن الفرار منه الأمر بالتوكل، والتسليم، والتفويض، فالأول: تأديب وتعليم، والثاني: تفويض وتسليم(١).

وقد تمسك الصحابة– رضوان الله عليهم – بهديه، واستنوا بسنته، فها هو سيدنا عمر بن الخطاب – ﷺ – يمتنع عن دخول الشام سنة ثمان عشرة من الهجرة ؛ لانتشار طاعون عمواس بها، مع أن له به حاجة، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب – ﷺ– خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد – أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام. قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع في الشام فاختلفوا فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء. فقال ارتفعوا عني، ثم قال ادع لي الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم. فقال ارتفعوا عني، ثم قال ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف عليه منهم رجلان فقالوا نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء. فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه قال أبو عبيدة بن الجراح أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله. أرأيت إن كانت لك إبل هبطت وادياً له

(١) ينظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك : محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري٤/ ٢٧٩– ت: طه عبد الرءوف سعد : مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

عدوتان: إحداهما خصيبة، والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف ﷺ، وكان متغيباً في بعض حاجاته فقال: إن عندي في هذا علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه"، قال فحمد الله عمر، ثم انصرف[1]". وهكذا استجاب سيدنا عمر بن الخطاب ومن معه من المسلمين لنهي النبي – ﷺ – فسلموا بفضل الله – ﷻ– من الطاعون الجارف المسمى بطاعون عمواس الذي هلك به خلق كثير.

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الطب ، باب ما يُذكر في الطاعون، حديث رقم: ٥٧٢٩، جـ ٧ ص ١٣٠ ، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر– دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

المبحث الأول

الأمر بالحجر الصحي

عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَسْأَلُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الطَّاعُونِ(١)؟ فَقَالَ أُسَامَةُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا، فِرَارًا مِنْهُ (٢)".

هذا الهدي النبوي يعد من العلامات الدالة على نبوته ﷺ واتصاله بوحي السماء، لأن فيه سبقًا طبيًا أمر به الرسول ﷺ قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا، فقد سبق النبي ﷺ العلم الحديث بالأمر بتطبيق الحجر الصحي في وقت انتشار الوباء في أرض معينة، فمنع مَن يقيمون في هذه الأرض من

---

(١) الطاعون: على وزن فاعول ، من الطعن عدلوا به عن أصله الذي هو الطعن ، ووضعوه دالًا على نوع خاص من الأمراض الوبائية ، وفي أعراضه وتحديد نوع مرضه قال صاحب النهاية: الطاعون المرض العام الذي يفسد له الهواء ، وتفسد به الأمزجة والأبدان أهـ ، وهذا التعريف يصدق على كل الأمراض المعدية التي تنتقل عدواها عن طريق الهواء ، وقال الداودي: الطاعون حبة أي ورم تخرج من الأرفاغ وفي كل طي من الجسد ، وقال عياض: أصل الطاعون القروح الخارجة من الجسد . وقال ابن عبد البر: الطاعون غدة تخرج في المراق والآباط. وقال النووي: هو بثر وورم مؤلم جدا ، ويخرج غالبا في المراق والآباط . وقال بعض الأطباء الأقدمون منهم ابن سينا: الطاعون مادة سُمّية تحدث ورما قتالا يحدث في المواضع الرخوة من البدن ، وأغلب ما تكون تحت الإبط ، وخلف الأذن ، وسببه دم رديء مائل إلى العفونة والفساد... ينظر: المنهل الحديث في شرح الحديث د / موسى شاهين لاشين: ١٨٩/٣ – دار المدار الإسلامي ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الغار، حديث رقم: ٣٤٧٣، جـ ٤ ص ١٧٥ ، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر– دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

الخروج منها سواء كانوا مرضى أم أصحاء، ومنع كذلك دخول هذه الأرض ممن يسكنون خارجها حتى يمكن مقاومة الوباء وأخطاره، وحصاره ومنع انتشاره ؛ وهذا الإجراء الطبي الذي دعا إليه النبي ﷺ قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا هو الذي تمارسه الدول الآن في الوقت الذي انتشر فيه فيروس كورونا المستجد " كوفيد-١٩"، فيقومون بمنع كل من يأتي من بلاد موبوءة من دخول أرضها حتى تتأكد من خلوه تمامًا من هذا المرض عن طريق الحجر الصحي، كما تحذر مواطنيها من الذهاب إلى البلاد التي يُتَوقع أن يكون فيها شئ من هذا الوباء، فصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد.

ومن الملاحظ في هذا الحديث أن النبي ﷺ لم يأمر بتطبيق الحجر الصحي مباشرة في أول بيانه، وإنما هيأ لذلك ومهد وأعد المتلقي بتلك اللافتة التحذيرية:(الطاعون رجس) وهي جملة استهلالية بديعة فائقة التأثير، وهي أساس بناء الحديث، ومعقد المعنى " حيث يرمي اللسان الطلق العذب بجملة هي أم، تتواتر بعدها جمل لبيان وتفصيل وتحليل هذه الجملة الأم"(١)

وقد صاغ النبي ﷺ هذه الجملة الافتتاحية في عبارة موجزة دقيقة تقتضي حكمًا قاطعًا، وإقرارًا حاسمًا، فجاءت في كلمتين اثنتين (الطاعون رجس) جملة اسمية لإفادة معنى الثبوت والدوام، لتقرير معناها وتحقيقه في نفوس السامعين، وللدلالة على ثبات خطر هذا الوباء ثبوتا أبديا، وإنما اختير التعبير بالجملة الاسمية؛ لأنها " تحمل تأكيدًا لا تحمله الجملة الفعلية، ذلك أن خبر الجملة الاسمية يحمل في التقدير الذي يلاحَظُ في ذهن العربي ضميرًا يعود على المبتدأ، أو ما أصله المبتدأ فيكون حال الجملة الاسمية دوامًا مثل حال تقديم ما هو فاعل في المعنى على فعله قد جري فيها الإسناد مرتين:

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سمت الكلام الأول- د/ محمد أبو موسى: ٦٨٧ مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

الأولى: إسناده إلي الاسم الظاهر، والثانية : إسناده إلي ضميره "[1] وفي هذا تأكيد بالغ لإثبات خطر هذا الداء اللعين.

ويلاحظ في هذه الجملة المركزة تعريف المسند إليه (الطاعون) بأل الجنسية لكي تستوعب هذه الكلمة كل الأوبئة العامة المعدية.

ولم يُخبر عن الطاعون بقوله: (أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بل أُخبر عنه بقوله: (رجس) للمبالغة في التحذير من خطورته وخبثه، لما توحي به هذه الكلمة من معاني القبح والنجاسة والهلاك[2].

وبعد تلك التهيئة البديعة التي جاءت غاية في براعة الاستهلال، جاءت الجملة الوصفية : (أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) وأول ما يلفت

---

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها د/ عبد الرحمن حبنكة الميداني : ٨٧/١ ، دار القلم – دمشق – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦ م.

(٢) ذُكِرَ لفظ (الرجس) في القرآن الكريم في تسع آيات:

– في قوله تعالى: {إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان} (المائدة:٩٠)،

– وقوله تعالى: {كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون} (الأنعام:١٢٥).

– وقوله تعالى: { إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ} (الأنعام:١٤٥)

– وقوله تعالى: {قد وقع عليكم من ربكم رجس} (الأعراف:٧١).

– وقوله تعالى: {فأعرضوا عنهم إنهم رجس} (التوبة:٩٥).

– وقوله تعالى: { وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} (التوبة:١٢٥).

– وقوله تعالى: {ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون} (يونس:١٠٠)

– وقوله تعالى: {فاجتنبوا الرجس من الأوثان} (الحج:٣٠)

– وقوله تعالى: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت} (الأحزاب:٣٣)

وقد حمل لفظ الرجس في هذه الآيات دلالات متعددة : الإثم ، والشرك ، والشر، والعذاب ، والشك ، والشيطان ، والنجس ، والخبث ، والسَّخَط ، وهي معانٍ منها ما هو حسي ومنها ما هو معنوي، وتتلاقى كلها حول معنى الخبث والقَذَر.

الأنظار في هذه الجملة الوصفية بناء الفعل (أُرسِل) لما لم يُسم فاعله ولعل في ذلك دلالة على السرعة والانتشار والقوة والتركيز على من أرسل عليهم، ففيه لفت لانتباه المخاطبين إلي حقيقة الحدث وطبيعته ومدي علاقته وتعلقه بهذه الطائفة من بني إسرائيل وهذا يحتاج لذكر حالهم من المعاصي التي كانت سببًا في ذلك العذاب العظيم والخزي الكبير(١)، فضلا عن حسن تأدب النبي ﷺ مع الله ﷻ، حيث لم يسند الشر إليه مباشرة، وتلك عادة قرآنية في الخطاب الإلهي الذي يحمل تكليفات شاقة على النفوس، أوالآيات التي تنطوي على شر أو عذاب، نحو قوله تعالى:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ (سورة البقرة :١٧٨) وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ ﴾ (سورة

(١) – رُوِي في تعيين الذنوب التي ارتكبتها هذه الطائفة من بني إسرائيل أقوال عديدة ، أشهرها ما ذكره الطيبي: إنهم هم الذين أمرهم الله تعالى أن يدخلوا الباب سجدا فخالفوا. قال تعالى: {فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء} [الأعراف:١٦٢] قال ابن الملك: فأرسل عليهم الطاعون فمات منهم في ساعة أربعة وعشرون ألفاً من شيوخهم وكبراءهم، وقيل إن هذا الحديث فيه إشارة إلى ما جاء في قصة بلعام التي ذكرها الطبري أن رجلا كان يقال له بلعام كان مجاب الدعوة وأن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام فأتاه قومه فقالوا ادع الله عليهم فقال حتى أؤامر ربي فَمُنِعَ فَأَتَوْهُ بِهَدِيَّةٍ بهدية فقبلها وسألوه ثانيا فقال حتى أؤامر ربي فلم يرجع إليه بشيء فقالوا لو كره لنهاك فدعا عليهم فصار يجري على لسانه ما يدعو به على بني إسرائيل فينقلب على قومه فلاموه على ذلك فقال سأدلكم على ما فيه هلاكهم أرسلوا النساء في عسكرهم ومروهن أن لا يمتنعن من أحد فعسى أن يزنوا فيهلكوا فكان فيمن خرج بنت الملك فأرادها رأس بعض الأسباط وأخبرها بمكانه فمكنته من نفسها فوقع في بني إسرائيل الطاعون فمات منهم سبعون ألفا في يوم وجاء رجل من بني هارون ومعه الرمح فطعنهما وأيده الله فانتظمهما جميعا. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ١٨٣/١٠ – دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ ، وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري: ٣٧٧/٤ ت: طه عبد الرءوف سعد – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

البقرة:٢١٦) فلما كان في هذه الأمور مشقة على عباده قال تعالى : كُتب ولم يقل: كتبنا، أما إذا جاء الحديث عن الأمور المحببة للنفوس، والتى تحمل خيراً ظاهراً يبنى الفعل للمعلوم، ويظهر اسم الجلالة (الله) ﷻ كما في قوله تعالى:﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ (سورة الانعام:١٢) وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾(سورة الأعراف:١٥٦)، وكذا قوله تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ فقد أُسنِدَ فعل إرادة الشر إلى ما لم يسم فاعله ولم يُسنَد إلى الله تعالى مع أن مقابله أُسنِد إليه بقوله : ﴿ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ جرياً على واجب الأدب مع الله تعالى في تحاشي إسناد الشر إليه.(١)

كما آثر البيان النبوي تعدي الفعل (أُرسِل) بحرف الجر(على) دون (إلى) ولعل ذلك كان لإرادة تضمين الفعل (أُرسِل) معنى(سلَّط) وهذا يرد كثيرًا في البيان القرآني في مقام العذاب والإهلاك كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَالْجَرادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفادِعَ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ) (الأعراف :١٣٣) وقوله تعالى:﴿ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف :١٦٢) وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ (مريم: ٨٣) وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍوَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ (سبأ:١٦) وغير ذلك من الآيات التي تعدى فيها الفعل (أرسل) بحرف الجر (على) في مقام العذاب والإهلاك.

وبعد هذا الاستهلال التحذيري شرع النبي ﷺ في وصف ما يجب أن يُلتزَم به في وقت انتشار الوباء، فقال ﷺ: " فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا

(١) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور:٢٩/٢٣١ الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤ هـ

عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ "، والفاء في قوله " فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ" تعليلية ؛ ففيها إشعار بأن ما سيصدر بعد ذلك من أمر ونهي مُعَلل بكون الطاعون رجس، وكان من دقة بيانه ﷺ أن ربط بين الجملة التمهيدية الموطئة لمراده:(الطاعون رجس...) وما بعدها من أمر ونهي بالفاء التعليلية المقترنة بأداة الشرط بـ (إذا) التي تشير إلى تحقق وقوع الطاعون، وكثرة حدوث الأوبئة، وقد تحققت نبوءته ﷺ، فوقع الطاعون غير مرة، وانتشرت الأوبئة في كثير من البلدان على مر الزمان(١)؛ حتى هلك كثير من الناس، وما وباء الكورونا منا ببعيد، فما زال ينتشر في أنحاء العالم كانتشار النار في الهشيم، يصيب الملايين، ويحصد الآلاف من الأرواح يومًا بعد يوم– نسأل الله الحفظ والوقاية والمعافاة، والشفاء لكل مريض– كما أفاد أسلوب

(١) وقعت أربعة طواعين مهلكة في المائة الاولى من هجرة النبي – ﷺ–: أولها الطاعون الذي وقع في السنة السادسة من الهجرة عام صلح الحديبية، لكنه لم يكن في جزيرة العرب، بل وقع في بلاد الشام، في بلاد فارس والروم، وسلم منه أهل الاسلام.ثم الطاعون الثاني: وهو طاعون عمواس في بلاد الشام أيضا، واستشهد فيها جمع من أصحاب رسول الله – ﷺ– منهم سيدنا معاذ بن جبل –رضي الله عنه–، وأبو عبيدة بن الجراح ، والفضل بن العباس بن عبد المطلب، وغيرهم ، وقد توفي فيه أكثر من خمسة وعشرين ألفا، وكان سيدنا عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– حينها يفتح بيت المقدس في فلسطين، ثم انصرف بالمسلمين تنفيذا لما جاء عن رسول الله –ﷺ–: "إذا سمعتم بالطاعون في بلد فلا تدخولها، وإن كنتم فيها فلا تخرجوا منها". وأما الطاعون الثالث فسُمِي الطاعون الجارف؛ لكثرة ما اجترف من الناس وأهلك، وذلك في زمن دولة عبد الله بن الزبير – رضي الله عنه – وقد جاء فيه أنه هلك في يوم واحد سبعون ألفا، ومات فيه لأنس بن مالك – رضي الله عنه– في يوم واحد ثلاثة وسبعون ولدا. وأما الطاعون الرابع فكان يُسمى طاعون: الفتيات ؛ لأنه بدأ في العذارى، والبنات، والجواري، وابتدأ من البصرة في العراق، وبواسط، ثم انتقل إلى الشام، والكوفة ، ومات فيه كثير من الناس، حتى مات منهم عبد الملك بن مروان الخليفة، ولذا يسميه بعض المؤرخين بطاعون: الأشراف؛ لكثرة ما مات فيه من أصحاب المكانة والشرف ، ثم تتابعت الأوبئة والطواعين عبر القرون، ووقع ما أخبر به رسولنا الكريم – ﷺ–.

الشرط التطلع والتشويق إلى معرفة الجواب، ولاشك أن النفس عندما تتلقي قوله ﷺ: "فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ" تتطلع إلى معرفة الجواب، وتتشوق لمعرفة عاقبة ذلك، وهذا مما يوقظ عند السامع مدارك الحس، ويجعله متأهبا لسماع الجواب، فإذا ما وقع تمكن في ذهنه فضل تمكن.

كما آثر النبي ﷺ التعبير بالفعل: (سمع) دون (علم، أو تيقن، أو تحقق) للدلالة على أن مجرد السماع عن وقوع وباء معدٍ في بلدة معينة كافٍ لتجنب تلك البلدة وعدم الاقتراب منها ؛ للتحرز من وقوع العدوى، وعلى هذا فالتعبير بالفعل (سمع) جاء متناسقًا مع سياق الحديث، وكاشفًا بدقة عن مقصوده ﷺ. كما نُكِرت كلمة (أرض) للدلالة على العموم، فليس هناك بلدة قاصرة على وقوع الوباء مختصة به، ولا بلدة ممتنعة عنه، بل الأمر كله لله، يصيب من يشاء بحكمته، ويمنع الوباء عمن يشاء برحمته.

ثم جاء جواب الشرط في قوله: "فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ" بالنهي المطلق المتجدد كلما تجدد ظهور الوباء ؛ للتحرز من وقوع العدوى، ولا شك أن هذا أسكن للنفوس، وأقطع للأوهام المشوشة ووساوس الشيطان.

ولا خلاف في النهي عن دخول الأرض المصابة إلا لضرورة كالأطباء ومساعديهم ومن تحتاجهم الأرض لحياتها الضرورية، لذا امتنع سيدنا عمر بن الخطاب – ﷺ– عن دخول الشام سنة ثمان عشرة من الهجرة؛ لانتشار طاعون عمواس بها، مع أن له به حاجة .

وقد آثر النبي– ﷺ– التعبير بالفعل المضارع (تَقْدَمُوا) بعد (لا) الناهية ؛ مما أعطى نهيه طابع التجدد والاستمرارية الدائمة، مما يفيد أن هذا النهي ليس مقصورا على زمنه – ﷺ– بل يمتد حتى قيام الساعة كلما تجدد انتشار الوباء، وهذا بلا شك أدعى لتثبيت هذا النهي في نفوس المتلقين، وإقراره في وجدانهم، حتى لا يفكرَنَّ أحد في القدوم على أرض الوباء مهما كانت حاجته لها، ومهما كان تعلقه بها وبمن فيها حتى يزول الوباء، وهكذا كان اصطفاء النبي– ﷺ– لصيغة المضارعة هو الأنسب والآنس بالسياق.

وبعد أن حذَّر النبي ﷺ الأصحاء المقيمين خارج الأرض المصابة بالوباء من الاقتراب منها، أعقبه بخطاب من وقع الوباء في محل إقامته، فقال ﷺ " وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ " وأول ما يُلاحَظ في صياغة هذه الجملة أنها قد وُصِلت بالجملة التي سبقتها لاتفاقهما في الإنشائية لفظاً ومعنى، فبين الجملتين توسط بين الكمالين.

كما اصطفى النبي- ﷺ- التعبير بالفعل (وقع) دون غيره ؛ للدلالة على خطورة الطاعون وثقله وشدة وطأته، وعبر بالفعل الماضي للدلالة على تحقق وقوعه، كما تتجلى دقة بيانه ﷺ في ذكر الجملة الحالية (وأنتم بها) لكي يشمل كل من أقام بأرض الوباء، سواء كان من المقيمين الدائمين بها، أم كان من القادمين إليها لقضاء حاجة ووافق ذلك وقوع الوباء.

ثم جاء جواب الشرط في قوله: (فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ) بالنهي المتجدد المستمر حتى يرتفع الوباء، وعُبِرَ بالمفعول لأجله (فرارًا) لبيان علة الفرار وسببه.

ولنا أن نتخيل إن قيل لرجل صحيح منذ مائتي عام – لا أقول منذ أكثر من ألف و عام–، وهو يرى صرعى المرض الوبائي يتساقطون حوله، وهو بكامل قواه وقيل له: امكث في مكانك لا تخرج، لاعتبر هذا الكلام جنوناً أو عدواناً على حقه في الحياة، ويفر هارباً بنفسه إلى مكان آخر خال من الوباء، وقد كان المسلمون هم الوحيدون بين البشر الذين لا يفرون من مكان الوباء منفذين أمر نبيهم ولا يدركون لذلك حكمة، وكانوا محط سخرية من غير المسلمين لذلك التصرف، حتى اكتشف أن الأصحاء أصحاب المناعة الأقوى الذين لا تبدو عليهم أعراض المرض في مكان الوباء هم حاملون لميكروب المرض الوبائي، وأنهم يشكلون مصدر الخطر الحقيقي في نقل الوباء إلى أماكن أخرى إذا انتقلوا إليها، ولأنهم يتحركون ويختلطون بالأصحاء بلا حذر

أوخوف فينقلون لهم جرثومة الوباء المدمرة، فهم أخطر من المرضى الحقيقيين لتجنب الناس لهم، فمن أطلع محمداً ﷺ على هذه الحقيقة؟![1]

أيمكن أن يُخبِر بَشَرٌ بتلك الحقائق العلمية الدقيقة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان؟ إلا أن يكون كلامه وحياً يأتيه من عليم خبير.

وقد أكد البحث العلمي الحديث ما أخبر به النبي ﷺ، فقد سُئِلَ الدكتور جون لارسن من قِبلَ هيئة الإعجاز العلمي : إذا كنتَ حاكمًا على مدينة، وأُصيبت تلك المدينة بمرض وبائي خطير؛ أو ما يُسمى بالطاعون؛ فماذا تفعل يا دكتور؟

قال: سآتي بالجنود، وأضرب حصاراً على المدينة؛ لمنع الدخول إليها، والخروج منها. قيل له: أمّا أن تمنع الدخول فقد علمناه، ولكن لماذا تمنع الخروج منها؟ قال: لأن الدراسات في الفترة المتأخرة كشفت لنا أنه عندما يكون الطاعون منتشراً في مدينة من المدن، أو منطقة من المناطق فإن عدد الذين تظهر عليهم أعراض المرض تتراوح نسبتهم (ما بين ١٠ : ٣٠ %) قيل له: والباقون من سكان المدينة ما بالهم؟ قال: هؤلاء الباقون يحملون الجرثومة في أجسادهم، لكن جهاز المناعة عندهم يتغلب على الجراثيم، فتبقى في الجسم، لكنها لا تضره، فإذا بقي هذا الصحيح في البلدة التي فيها الطاعون فلا خوف عليه، لأنه ملقَّحٌ، ولأن عنده مقاومة من جهاز المناعة تدفع عنه المرض، أما لو خرج من هذه المدينة أو البلدة فإنه يخرج حاملاً لهذه الجرثومة، فينقل ذلك المرض إلى مدينة جديدة، وقد ينشأ عن ذلك هلاك الملايين من البشر، بسبب خروج هذا المصاب ... قيل: إلى متى يستمر هذا الحصار المضروب على هذه المدينة؟ قال: إلى وقت يسير، حتى يتغير سلوك الجرثومة، بإضافة

(١) ينظر: إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة: د/ عبد الجواد الصاوي :٧١ دار جياد للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى: ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م.

خصيصة وراثية جديدة، حتى تذهب فيها خصيصة العدوى التي تنتشر، وتنقل المرض إلى الآخرين(١).

وختامًا أقول إن هذا الهدي النبوي قد تعددت جمله، لكن مع هذا التعدد انسجمت وتضامت وكأنها جملة واحدة، حيث سلمت الأولى للثانية، والثانية للثالثة ... وهكذا حتى نصل إلى آخر جملة، وهذا مما يتلائم ومساق الحديث في الدلالة على الداء وتشخيص الدواء مع تغاير طبيعة الداء، وهذا التشابك الأسلوبي في طريقة البناء يتناسب مع طبيعة الحدث في ذكر الداء والدواء، وهذا مما أعطي الحديث في مجمله شكلا جماليًا، وكأنه جملة واحدة تتشابه مفرداتها، وتتعانق معانيها، ويسلم بعضها إلى بعض في نظم رائع جمع نهاية الحسن وبلغ أعلى مراتب التمام. والله أعلم.

(١) – السنة النبوية وحي : خليل بن إبراهيم ملا خاطر : ٧٠ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

المبحث الثاني

التحذير من الفرار من أرض الوباء

أخرج الإمام أحمد في مسنده قال : "حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ مُضَرَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ جَابِرٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " الْفَارُّ مِنَ الطَّاعُونِ، كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ، وَالصَّابِرُ فِيهِ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ "(١).

هذا الحديث النبوي الشريف نص في وجوب الصبر على أقدار الله، فيجب علينا أن نتلقى تلك الأقدار بالصبر والاحتساب، واليقين بأن ما أصاب المرء لم يكن ليخطأه، لأنه لا مناص منه، ولا انفكاك عنه، قال تعالى: (مَا أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى مَا فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ)(سورة الحديد : ٢٢-٢٣)

وفي هذا الهدي النبوي تحذير شديد من مخالفة قواعد الحجر الصحي وقت انتشار الوباء؛ حرصًا من النبي ﷺ على أمته ؛ حتى تنعم بالصحة والمعافاة في الدنيا، وبالفوز بالجنة في الآخرة.

ويُعَدُ هذا الحديث الشريف من أَشَدَّ وآكد ما ورد في التحذير من الفرار من أرض الوباء وقت تفشيه وانتشاره(٢)، ففي قوله ﷺ " **الفار من**

---

(١) – أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، حديث رقم: ١٤٨٧٥ – ١٥٩/٢٣ ت : شعيب الأرنؤوط – وعادل مرشد، وآخرون – إشراف : د عبد الله بن عبد المحسن التركي – مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

(٢) – لم يُسمَع عن أحد من الصحابة والتابعين وأهل العلم فرّ من الطاعون إلا ما ذكره ابن المدائني أن علي بن زيد بن جُدْعان هرب من الطاعون إلى السَّيَالة فكان يُجَمِّع كل جمعة ويرجع ؛ فكان إذا جَمَّع صاحوا به: فرّ من الطاعون! فمات بالسَّيَالة. قال: وهرب عمرو بن عبيد ورباط بن محمد إلى الرباطية فقال إبراهيم بن علي الفُقَيْمي في ذلك:

ولما استفز الموتُ كلَّ مكذِّب ** صبرتُ ولم يصبر رباطٌ ولا عمْرو=

الطاعون كَالْفَارِّ يَوْمَ الزَّحْفِ" تشبيه للفار من أرض الوباء بالفار يوم الزحف، والمشبه به مرتكب لكبيرة حذر القرآن الكريم منها ومن عواقبها على الأمة، وتوعد مرتكبها بالغضب وسوء المصير، قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (سورة الأنفال : ١٥-١٦)، ولا شك أن هذه الصورة التشبيهية قد أضفت بظلالٍ مروّعةٍ على هذا الفعل الشنيع، وبعثت بقوة على الزجر عن ارتكابه، كما كسى النبي ﷺ هذه الجملة " **الفار من الطاعون كَالْفَارِّ يَوْمَ الزَّحْفِ**" ثوب الجملة الاسمية ؛ ليضفى عليها معنى الثبوت والدوام ؛ لأنها اشتملت على حكم ثابت ودائم إلى يوم القيامة، وهذا بلا شك يقرر معناها ويحققه في نفوس السامعين، ويدل على ثبات هذا التحريم ثبوتا أبديا إلى يوم القيامة.

وبعد أن استهل النبي ﷺ بيانه بالوعيد الشديد للفارين من أرض الوباء أعقبه بذكر الجزاء الكبير والمقام الرفيع لمن صبر وأقام في أرض الوباء امتثالًا للتوجيه النبوي واحتسابًا للأجر والثواب الرباني فقال ﷺ: " وَالصَّابِرُ فِيهِ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ " وقد عُطِفَت هذه الجملة على الجملة الأولى بالواو للتوسط بين

=وذكر أبو حاتم عن الأصمعي قال: هرب بعض البصريين من الطاعون فركب حمارًا له ومضى بأهله نحو سَفَوَان؛ فسمع حادِيًا يَحْدُو خلفه: =

لن يُسبقَ الله على حمارِ ** ولا على ذي مَنْعة طيّار

أو يأتيَ الحَتْفُ على مقدار ** قد يُصبح الله أمام السّاري

وذكر المدائني قال: وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مَرْوَان فخرج هاربًا منه فنزل قرية من قُرى الصعيد يقال لها سُكَر. فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان. فقال له عبد العزيز: ما اسمك؟ فقال له: طالب بن مُدْرِك. فقال: أَوْه ما أرَاني راجعًا إلى الفُسْطاط! فمات في تلك القرية. ينظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لمحمد بن أحمد شمس الدين القرطبي:٣/٢٣٦ ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

الكمالين فكلتاهما خبريتان، بينهما تقابل في المعنى يبرز فارق الجزاء في العمل، فالفار من أرض الوباء حاله كحال مرتكب كبيرة، والصابر فيه له أعظم الأجر، أجر الشهداء.

كما آثر النبي – ﷺ – التعبير بلفظ (الصابر) دون الثابت مع أنه المقابل للفظ الفار المذكور في صدر الحديث ؛ وذلك لبيان أن هذا الأجر العظيم لا يكون إلا لمن ثبت في بلد الطاعون صابرًا محتسبًا، وليس الجزاء لمن مكث بالبلد فحسب، وهذا ما أكدته الأحاديث الواردة في هذا الشأن عامة.

ومن الملاحظ في صياغة الجملة الثانية أن النبي ﷺ قال : (والصابر فيه) ولم يقل : والصابر عليه، أو والصابر دون أي قيد، ولعل ذلك كان للدلالة على شدة الهول وأنه مغمور في التهلكة، فيجب عليه الصبر حتى ينال عظيم الثواب والأجر.

كما جاء جزاء الصابر المحتسب في أرض الوباء مؤكدًا محسومًا في قوله ﷺ: (لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ) ففي تقديم (له) تأكيد للجزاء وتوثيق له، قال القاضي عياض: "وإنما كانت هذه الموتات شهادة بتفضيل الله على أربابها لشدتها وعظيم الألم فيها، فجازاهم الله على ذلك بأن جعل لهم أجر الشهداء، أو يحتمل أنهم سُموا بذلك لمشاهدتهم فيما قاسوا من الألم عند الموت وشدته ما أعد لهم كما أعد للشهداء"(١)

ولنتأمل فارق البيان النبوي في الجملتين: جملة الوعيد والوعد، ففي الجملة الأولى كان تشبيه الفار من أرض الوباء بالفار من الزحف، لكن في الجملة الثانية لم يشبه أجر الصابر المحتسب بأجر الشهيد، إنما جعل للصابر المحتسب أجر شهيد كاملًا غير منقوص، وهذا من كرم العطاء في الوعد، والرحمة في الوعيد، أرأيت فارق الوصفين!؟.

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض: ٣٤٤/٦ ت: د/ يحيى إسماعيل – دار الوفاء للنشر والتوزيع مصر ، الطبعة الأولى : ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

وقد يتسائل البعض، لماذا ذُكِرَ الطرف الثاني من الجزاء (وَالصَّابِرُ فِيهِ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ) مع إمكان الاستغناء عنه في النظم، حيث ترشد الجملة الأولى إليه، وتدل عليه؟ ولعل ذلك كان للمقابلة بين الطرفين حتى يتحدد الجزاء الخاص بكل منهما في ذهن المخاطب، وتكون الصورة في ذهنه جلية واضحة، وفي هذا تأكيد بعد تأكيد، وإبراز للمعنى الكلي للحديث في صورة واضحة قوية مترابطة.

كما لا يخفى التناسب والانسجام بين جملتي الوعيد والوعد، في استهلال كلتيهما بالتعبير باسم الفاعل: (الفار) في جملة الوعيد، (والصابر) في جملة الوعد، ولا شك أن هذا التناسب مما يقوي تناظر المعاني، ويزيد من إحكام التماسك والتلاحم الكلي لمفردات وجمل الحديث، فيعظم وقع المعنى في نفوس المتلقين، فيأنسوا به، ويستقر في قلوبهم.

وقد جاء بناء الحديث وليد تفاعل بين عنصري الترهيب والترغيب، ولا يخفى ما لهما من دور رائد في تثبيت المعاني وتأكيدها، إذ هما وسيلتان من الوسائل التي تدفع العبد نحو تنفيذ الأوامر، واجتناب النواهي بدوافع داخلية نابعة من الرغبة والرهبة، كما أنهما " من الأساليب البلاغية التي تعمق الإحساس بالأشياء، وتزيد النفوس بصراً بالحقائق، وذلك لأنها تختص بالجمع بين الأشياء المتناقضة) [1] كما أنها " تعطي الأسلوب قدرة على الإيقاظ، ويصير الحس معها كأنه يكون مستنفراً مثارًا حين يحس بما وراء هذه المتناقضات من صراعات وتجاذبات وهو يثب علي قممها المتناقضة" [2] وهذا تأكيد للمعني المراد .

كذلك التفاعل بين عنصري التشريع والجانب الروحي الذي يتجلى في غرس القناعة الفكرية لهذا التحريم، والطمأنينة الروحية بهذا التكليف في قلب المكلف؛ بمعرفة ما يترتب على الفرار من أضرار بالغة تتخطى الفار نفسه إلى المجتمع بأسره مثلما يحدث من هزيمة لا تقتصر على الفار من الزحف وحده،

(١) التحبير، د/محمود توفيق سعد ص١٤٨، ط: مكتبة العمروسي– القاهرة.
(٢) قراءة في الأدب القديم، د/محمد أبو موسى ص٨٨، مكتبة وهبة– القاهرة.

وبهذا يتأكد الترهيب في نفس المتلقي فيجعله ممتثلًا لأمر النبي ﷺ ماكثا في بلد الطاعون صابرًا محتسبًا، وبذلك يتم السيطرة على الوباء وانحساره. ولا يقتصر الأمر على جانب الترهيب وإنما يتبعه الترغيب في الجانب المقابل تأكيدا للمكث والصبر والاحتساب ببيان ذلك الأجر العظيم الذي يتحصل عليه الماكث المحتسب.

و بالتأمل في هذا الحديث نلحظ تفرد التشريع النبوي وتميزه عن القوانين التي يضعها البشر؛ حيث لم يقتصر الأمر على جانب الترهيب من الفرار من الطاعون فحسب، وإنما في المقابل كان الترغيب وبيان الأجر العظيم الذي يتحصل عليه الصابر المحتسب، بينما نجد القوانين التي يضعها البشر في مثل هذه الظروف لا تتخطى جانب الترهيب ووضع عقوبات لمن يخترق الحجر الصحي دون أن يكون هناك حوافز ترغب فيه وتحث عليه، مما يؤكد أن الإسلام هو الدين المتكامل الذي يتعامل مع كل النفوس في كل حالاتها، ويراعي المشاعر جميعها ؛ فما يتماشى معه الترغيب يجد في هذا الدين ما يدفعه نحو العمل، وما لا يرده إلا الترهيب يجد فيه ما يلائمه، وبذلك تتجلى عظمة هذا الدين وتلوح روعته في المحافظة على الأرواح، وإبعادها عما فيه هلاكها.

وبمعاودة التأمل في هذا الحديث وأضرابه من الأحاديث التي تبين كيفية التعامل مع الطاعون نلحظ تنويعًا في وسائل الترهيب والتخويف كما تنوعت وسائل الترغيب، فمرة يخبر النبي – ﷺ– أن الطاعون كان عذابا لمن قبلنا، ومرة يجعل الفرار منه كالفرار من الزحف كما هنا، كما تعددت وسائل الترغيب أيضا في التزام بلد الطاعون وعدم الفرار منه فيكون مرة رحمة للمؤمنين، ومرة يكون له أجر شهيد وهكذا.

ولا شك أن هذا التنويع في وسائل الترهيب والترغيب باعث قوي، ومحفز فاعل في الحثّ على لزوم البلد التي يقع فيها الطاعون وعدم الخروج منها تفاديًا لانتشاره. والله أعلم.

المبحث الثالث

الطاعون رحمة للمؤمنين

روى الإمام البخارى فى صحيحه قال : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا حَبَّانُ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي الفُرَاتِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا أَخْبَرَتْنَا: أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : «أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ[1]»

يكشف هذا الحديث الشريف عن خصوصية من خصوصيات الأمة الإسلامية – وهي كثيرة–، وذلك ببيان رحمة الله– تعالى– بها من خلال جعل ما كان عذابا لغيرها رحمة لها ؛ فالطاعون الذي كان يبعثه عذابًا لغيرها يتحول برحمة الله ثوابًا وأجرًا عظيمًا، فليس من عبد يصبر عند وقوعه في بلده واثقًا أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله عليه إلا حصَّل أعظم الأجر، وهو أجر الشهيد، وهذا من كمال رحمة الله – تعالى– بهذه الأمة.

كما يرسم لنا هذا الحديث الطريق الأمثل للتعامل مع الوباء عندما يقع في بلد، وهو عدم الخروج منها حتى لا يتفشى المرض وينتشر حفاظا على النفس الإنسانية، وتجنبا لإزهاق الكثير من الأرواح.

ومقام الحديث بيان لفضل هذه الأمة، وعِظَمِ أجر الصابرين منها على الأوبئة، لذلك اقتضت البلاغة النبوية أن يكون الطابع الخبري هو المسيطر

(١) - رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الطب ، باب أجر الصابر في الطاعون، حديث رقم: ٥٧٣٤، جـ ٧ ص ١٣١ ، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر– دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

على أسلوب الحديث من أوله إلى آخره، مما يدل على أن ما يذكره النبي – ﷺ – في هذا الحديث حقائق ثابتة لا تقبل التشكيك.

كما اشتمل الحديث على فيضٍ من الأساليب البلاغية التي تتضمن دقائق وأسرارًا أسهمت في إيضاح المعنى وصولا إلى الغرض . فاستهلال الحديث بالجملة الاسمية : " أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء " فيه دلالة على أن الطاعون كان نوعًا من أنواع العذاب التي يعذب الله – تعالى– بها الكفار والعصاة من الأمم السابقة، كما أنها تشعر بدوام هذا العذاب لهم واستمراريته عليهم . وهذه الجملة آكد وأبلغ من أن يقال مثلا:(كان الطاعون عذابا يبعثه الله على من يشاء) لأنها أدل على إثبات العذاب بالطاعون للأمم السابقة ؛ لأن الجملة الفعلية يؤتى بها "عند قصد مجرد الإخبار، فإذا أريد التأكيد أتي بالجملة الاسمية"(١).

وفي افتتاح الحديث بهذه الجملة بلاغة نبوية عالية تتجلى فيها براعة الاستهلال بما تشتمل عليه من تخويف وتهويل لشأن هذا الوباء، وأيضا ما تحدثه في المتلقي من تشويق لما بعدها، فعند سماع هذه الجملة في مطلع الحديث تتطلع النفس إلى ما بعدها متسائلة : إذا كان الطاعون عذابًا فيما مضى فما شأنه الآن؟ فيأتيها الجواب بعد هذا التشويق بأنه تحول إلى رحمة لهذه الأمة فيستقر المعنى في النفس ويتمكن فيها فضل تمكن.

وهذه الجملة تُعد توطئة ومهادًا للجملة الرئيسة التي يمكن أن نطلق عليها الجملة الأم في الحديث وهي جملة " فجعله الله رحمة للمؤمنين".. وهذا المهاد يعد شحذا للهمم على الصبر في المكوث في البلد، وعدم الفرار منه، فالوباء كان عذابا لمن قبلنا، لكنه لنا رحمة، فكيف أفر وأدعه وأترك هذا الأجر العظيم؟! فليس المراد من الجملة الأولى مجرد الإخبار بأنه كان عذابا

(١) حاشية الدسوقي على مختصر السعد – محمد بن عرفة الدسوقي – ضمن شروح التلخيص ١/ ٢٢٠ مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثانية: ١٤٣٢هـ.

لمن سبقنا، لكنها مهاد لما بعدها ؛ كي تعقد النفوس مقارنة بين حال أمة محمد من الأجر إذا صبرت، وحال من قبلها.

والتعبير بفعل الكون ماضيًا (كان) يوحي بامتداد الحدث في غابر الأزمان، مما يدل على أن الطاعون لم يكن عذابًا لفئة معينة في أمة معينة، بل كان عذابًا ومنهجًا إلهيًا في عقاب بعض الأمم السابقة، مما يكشف عن عظيم فضل الله علينا وتلطفه بنا ببركة الحبيب محمد – ﷺ.

وتنكير (عذابًا) كان للتهويل والتعظيم، أي أنه كان عذابًا عظيمًا يسلطه الله – سبحانه – على الكافرين والعصاة انتقامًا منهم، جزاًء وفاقًا لكفرهم وعصيانهم، ويتآزر مع التنكير في بيان شدة هذا العذاب التعبير بالمضارع " يبعثه " وما يدل عليه من تجدد وحدوث إشارة إلى تجدد هذا العذاب عليهم كلما زادوا في طغيانهم وأمعنوا في كفرهم، وأسهم كذلك التعبير بصيغة البعث وما تدل عليه من إعادة، حتى لكأن هذا الوباء سلاح ادخره الله تعالى لهم يتوجه إليهم بين الفينة والفينة انتقامًا منهم، وزجرًا لهم، هذا فضلا عما في التعبير بالمضارع من استحضار لمشهد هذا العذاب، وتصوير لقوته وشدة فتكه بهم حتى كأنه حاضر ماثل أمام المتلقي يشاهده عيانًا. وهذا يتناسب مع تقييد مع تقييد الفعل بقوله – ﷺ– (على من يشاء)، فأصل البعث كما يقول الراغب : " إثارة الشيء وتوجيهه"[1] وهذا يعني أنه موجه لأناس معينين ومقدرين في علم الله أزلاً.

وفي إسناد البعث إلى اسم الجلالة " الله" دلالة على شدة هذا العذاب ووقعه المؤلم على نفوس العصاة والمجرمين . وتسليط هذا العذاب وتقييده بقوله: " على من يشاء" للدلالة على انفتاح هذا العذاب ليعم ويشمل كل العصاة والكفار ممن كانوا قبلنا ؛ مما يدل على شدة وقعه وشموليته.

(١) المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى:٦٣ – ت: صفوان عدنان الداودي : دار القلم ، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

ثم تأتي الفاء في قوله- ﷺ-:" فجعله الله رحمة للمؤمنين" لتكون فاصلة بين العذاب والرحمة، بين العقاب والعطاء، هذه الفاء تمثل حاجزًا بين حال الأمم قبلنا وحال أمة محمد ﷺ، وقد انتقل الحديث عبر هذه الفاء من الحديث عن العذاب إلى الحديث عن الرحمة، ولا يخفى ما في هذه المقابلة بين الجملتين من التأكيد على طلاقة القدرة الإلهية، فالشيء الواحد قد يكون عذابًا، وفي الوقت ذاته يكون رحمة، فالمقابلة على هذا النحو "نوع من التحدي بين المعاني، والمنافسة في الظهور، وهذه قوة للمعاني"(١).

وتأمل هناك قال: (يبعثه) وهنا قال: (فجعله) فالمضارع هناك زاد من شدة الأخذ، والماضي هنا حقق وأكد الرحمة، هناك قال: (على من يشاء) وهنا قال: (للمؤمنين) عمومية هناك، أما هنا فخصوصية للمؤمنين.

وجملة : " فجعله الله رحمة للمؤمنين" تحمل في طياتها كثيرًا من الإجمال والإبهام الذي يحتاج إلى إيضاح وبيان، فالجملة أخبرت أن الله – ﷻ – جعل الطاعون رحمة لأمة محمد – ﷺ – وهذا كلام يجعل النفوس متطلعة لبيان هذه الرحمة التي ليس فيها ظاهرًا إلا العذاب والهلاك، إذ كيف يكون الوباء رحمةً للمؤمنين بعدما ارتكز في نفوسهم أنه كان عذابا شديدا لمن قبلهم؟! وسرعان ما يسعفنا النبي – ﷺ– بالتفصيل والبيان بقوله : " فليس من عبد..." وإيراد المعنى في سياق الإيضاح بعد الإبهام تأكيد للمعنى المراد؛ حيث يُعرَض المعنى في صورتين: مبهمة وموضحة، ولا شك أن عرض المعنى في صورتين يكون أمكن في النفس وأثبت في القلب من عرضه في صورة واحدة.

كما أن التعبير بفعل الجعل في قوله – ﷺ– :"فجعله الله رحمة " يتلاءم مع تحول الطاعون من كونه عذابًا لمن سبقَنَا إلى كونه رحمة لأمته – ﷺ – فمن معاني الجعل كما يقول الراغب : " تصيير الشيء على حالة دون

(١) الأسلوب: أحمد الشايب صـ١٩٧، مكتبة النهضة المصرية، ط٧، ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م.

حالة"[1]، وهذا يؤذن ببالغ قدرة الله – ﷻ– ؛ إذ هو القادر على تحويل الشيء إلى ضده، ومن هنا آثر بيان النبوة التعبير باسم الجلالة (الله) وذلك من وضع المظهر موضع المضمر تناسبًا مع طلاقة قدرة الله – ﷻ– وجمعه بين النقيضين، وتحول الشيء من حال إلى ضده، فضلًا عما في هذا التعبير من بيان لشرف هذا الثواب، وإظهارٌ لكمال رحمته – سبحانه – بأمة محمد – ﷺ– ويتلائم مع هذا الفضل الكبير تنكير كلمة : "رحمة" وما فيه من التعظيم والتفخيم لها، وتكاثر ظلال الخير المترتبة عليها، والتي منها استحقاق أجر الشهادة لمن مكث في بلده محتسبًا الأجر والثواب وهو يعلم أنه لن يصيبه إلا ما قدَّره الله له.

واللام في قوله – ﷺ– " للمؤمنين" هي لام العلة والأجْلِ، أي: لأجل المؤمنين، وذلك يؤكد أثر الإيمان في دفع الآثار السيئة المترتبة على البلاد، وكيف تتحول برحمة الله – ﷻ – من العذاب والهلاك إلى الرحمة والأجر الكبير.

والفاء في قوله :" فليس من عبد..." لتفصيل ما أُجْمِلَ في الجملة السابقة، وأُوثِرَ النفي بـ (ليس) لما تتسم به من نفي مضمون الجملة عمومًا في الماضي والحال والاستقبال[2] وذلك مما يتناسب مع بقاء هذا الحكم وعمومه، واستحقاق هذه الرحمة – بفضل الله ﷻ– لكل عبد التزم بالضوابط التي أخبر عنها النبي – ﷺ – في هذا الحديث، ليس في زمنه – ﷺ – فحسب، أو في زمن معين، بل بقاء هذا الحكم في كل العصور والقرون، وهذا توجيه بليغ منه

(١) المفردات في غريب القرآن : ١٠١

(٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : جمال الدين ، ابن هشام: ١/ ٣٩٤ ت: د مازن المبارك / محمد علي حمد الله : دار الفكر – دمشق ، الطبعة السادسة، ١٩٨٥، والبرهان في علوم القرآن: بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْن بهادر الزركشي : ٣٩٦/٤، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاؤه – الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م

– ﷺ– للأمة الإسلامية على مر العصور باتباع والتزام قواعد الحجر الصحي في كل زمن يقع فيه وباء عام مُهلِك.

واصطفاء التعبير بقوله – ﷺ– (عبد) فيه مناسبة بديعة لمقام الحديث، فكلنا عباد الله – ﷻ– يجب علينا أن نمتثل لأمر الله – ﷻ– ونذعن لقضائه وقدره.

والتعبير بالفعل " يقع" بمادته وجرسه يوحي بالمفاجأة والمباغتة، كما ينذر بالخطر والهلاك المترتب على الشيء الواقع، يقول الراغب: " الوقوع: ثبوت الشيء وسقوطه، يُقَال: وقع الطائر وقوعًا، والواقعة لا تُقَال إلا في الشدة والمكروه، وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ (وقع) جاء في العذاب والشدائد"(١)

وتقريرًا وتأكيدًا على شدة خطر الطاعون أبرز النبي – ﷺ – لفظ "الطاعون" في قوله: " فليس من عبد يقع الطاعون..." وهذا من وضع المظهر موضع المضمر، لشدة تأثيرهذا اللفظ في النفوس واستشعارها لشدة خطره، وما يترتب عليه من الهلاك ؛ وما ذاك إلا لأن " قدرًا كبيرًا من التأثير يظل الاسم الظاهر محتفظًا بها، ولا يستطيع الضمير حملها نيابة عنه؛ لأنها تتولد حين يقرع اللفظ السمع بجرسه، وارتباطاته المختلفة جد الاختلاف، والتي اكتسبها في قصته الطويلة مع الكلمات، والأحداث والمواقف"(٢)

وقد قيدت هذه الجملة بثلاثة قيود: (يمكث في بلده) ثم القيد الثاني: (صابرًا) ثم القيد الثالث: (يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له) وهذه القيود الثلاثة هي نياط الأجر، ولا يتحقق بدونها، فلا يكفي مجرد المكث في بلد الطاعون، وإنما لا بد من الصبر والاحتساب والرضى ،" فلو مكث وهو قلق متندم على عدم الخروج ظانًا أنه لو لم يخرج لم يقع به فاته أجر الشهادة وإن

(١) المفردات في غريب القرآن : ٥٤٤

(٢) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني: د/ محمد محمد أبو موسى: ٢٤٨ مكتبة وهبة ، الطبعة الرابعة: ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.

مات به، هذا قضية مفهوم الخبر كما اقتضى منطوقه أن المتصف بما ذكر له أجر شهيد وإن لم يمت به"[١].

وقد أُوثِر التعبير بالفعل : (يمكث) في القيد الأول دون : يقعد أو يجلس؛ لأنه الأنسب للمعنى والمقام، لأن المكث " ثبات مع انتظار"[٢] وهذا يكشف في دقة بالغة عن مقصد هذا العبد حين حبس نفسه في بلده لا يخرج منها، وهو انتظار الفرج من الله – ﷻ – بزوال هذه المحنة ورفع خطر هذا الوباء والبلاء. وتقييد المكث بقوله: " في بلده" تحرير للمعنى وتحديد للمراد، وسبق طبي فريد منه – ﷺ– فقد أشار منذ أكثر من ألف عام إلى ما توصل إليه العلم في العصر الحديث من وجوب الالتزام بالحجر الصحي، وهو المكث في البلد التي حلَّ بها البلاء، دون الخروج منها، تيقنًا من العبد بأنه أمر مقدر من الله – ﷻ– وحرصًا منه في عدم نقل عدواه إلى الآخرين، أو عدوى بلده إلى غيرها من البلدان.

وانظر إلى المغايرة في بناء القيد الثاني : (صابرًا) فقد بُني على صيغة اسم الفاعل ليوحي بالثبات على الصبر وملازمة مدة المكث على تلك الحال، ثم عاد القيد الثالث لصيغة المضارعة : " يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له" ليوحي بتجدد العلم، وأن يظل أمرًا مستمرًا متجددًا في عقل هذا العبد ووعيه حتى يستحق الثواب الذي ذكره الرسول – ﷺ– في ختام الحديث، وهو أجر الشهيد. كما أن التعبير بلفظ العلم أفاد معنى اليقين الذي لا يشوبه شيء من الشك في أن العبد المقيم في أرض الوباء لن يصيبه إلا ما قدره الله له، وقد أكد النبي– ﷺ– هذا المعنى بمجيء (أنَّ) المشددة بعد فعل العلم، وكذلك صياغة المعنى في ثوب القصر بجملة " لن يصيبه إلا ما كتب الله له" الواقعة مفعولًا ثانيًا للفعل : "يعلم".

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٤/ ٢٨٧) – المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن : ٤٧٣.

وقوله: (إلا كان له مثل أجر الشهيد) استثناء من قوله:(أحد) يبين الأجر العظيم الذي يحصل عليه من مكث في بلد الطاعون وصبر واحتسب. وتقديم الجار والمجرور" له" لإفادة التخصيص، فهذا الأجر العظيم مختص به لا يتعداه إلى غير. وسر التعبير بالمثلية مع ثبوت التصريح بأن من مات به شهيد" أن من لم يمت به له مثل أجر الشهيد وإن لم يحصل له درجة الشهادة نفسها"[(١)]، وهذا من كمال رحمة الله –تعالى– بهذه الأمة.

وامتدادًا لحبل التكريم والتفضل عُرِّفَ الشهيد بأل دون أن يقال : إلا كان له أجر شهيد ؛ للدلالة على زيادة الأجر وكمال الفضل، حيث إنه سيتحصل على أعلى درجات الشهادة وليس أي شهيد تأكيدًا للإكرام وزيادة للثواب.

وبناء التفصيل والإيضاح جاء مشتملًا على العمل وجزاء العمل" فليس من عبد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابرًا، يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر الشهيد " وهذا كله جاء في ثوب جملة القصر عن طريق أقوى طرق القصر– النفي والاستثناء– لتأكيد هذا الثواب العظيم لمن تحصل على الشروط المذكورة.

وهكذا امتزج نسيج الحديث بألفاظه وتراكيبه مع مقام بيان فضل هذه الأمة، وعظم أجر الصابرين منها على الأوبئة عند الله تعالى – لأداء المعنى على خير وجه، وكان الإيضاح بعد الإبهام هو الأسلوب الأبرز في الحديث، وتآزر معه بعض الأساليب الأخرى كالمقابلة والقصر وغيرها، وكانت غاية في الفصاحة والبلاغة. والله أعلم.

(١) السابق: : ٤٧٣.

الخاتمة

الحمد لله الّذي بنعمته تتمّ الصالحات، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فبعد هذه الدراسة الماتعة التي عشت في رحابها مع الأحاديث النبوية التي وردت في الحجر الصحي، ها أنا ذا أحط الرحال لأبسط رداء الفضل الذي جاد علي به الله –ﷻ– فأجمل ما فصلته، وأذكر أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، والتي يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- تُعدُ أحاديث النبي – ﷺ– عن الحجر الصحي دليلًا من دلائل نبوته – ﷺ– ؛ لأن فيها سبقًا طبيًا أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا من اكتشاف العلماء للعوالم الخفية من الكائنات الدقيقة وطرق تكاثرها وانتشارها وتسببها في حدوث الأمراض والأوبئة، كما عالج النبي – ﷺ– هذا الأمر كأنه يحياه ويعايشه، فبدت أحاديثه – ﷺ– وكأنها تُقَالُ اليوم تحذر وتهذب وترسم طريق التعامل من الوباء حتى تنجو البشرية منه. كما اشتملت هذه الأحاديث على نظام حماية كامل، لاشتمالها على علاج من جهة الطب، وجعلت الضمير الإنساني مسؤولا عن تطبيق هذا الإجراء الوقائي.
- كَثُرَ أسلوب التهيئة في أحاديث الحجر الصحي، فلم يأمر النبي – ﷺ – بتطبيق الحجر الصحي مباشرة في أول بيانه، وإنما هيأ لذلك ومهد وأعد المتلقين لتقبل هذا الأمر، ومن شواهد ذلك استهلال النبي – ﷺ – حديث الأمر بالحجر الصحي بقوله: " الطاعون رجس" فهي جملة استهلالية مركزة أشبه باللافتة التحذيرية التي تثير اهتمام المخاطبين وتجذب انتباههم، وتجعلهم في حالة ذهنية مترقبة لما سيلقلى عليهم، فإذا سمعوا بعدها: " فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا، فِرَارًا مِنْهُ" ترسخ هذا الأمر في قلوبهم

واستقر في وجدانهم، فيسارعوا لامتثاله والاستجابة له. وهذا نهج نبوي حكيم، لأنه – ﷺ– عليم بفقه سياسة النفوس، وخبير بمعرفة الأساليب التي بها تُفتَح مغاليق القلوب، بحيث يكون المتلقي عند سماع ما يُؤمر به، أو يُنهَى عنه أحسن تلقيا، وأكثر اهتماماً وتمسكاً، فيدخل المعنى على قلبه دخول المأنوس به، ويقبله قبول المهيأ له، المطمئن إليه.

- تبيَّن من خلال التحليل البلاغي لأحاديث الحجر الصحي ندرة الصور البيانية، فلم نجد في هذه الأحاديث سوى تشبيه واحد في قوله – ﷺ– " الفار من الطاعون كَالْفَارِّ يَوْمَ الزَّحْفِ" ولعل السر في ذلك يكمن في أنها أحاديث تتعلق بالجانب الطبي، فهي تحتاج إلى وضوح التعبير، ودقة وحسم الصياغة.
- ظهر أسلوب الشرط في أكثر من حديث، وكان له دور أساسي في إثارة المتلقي وتشويقه وتطلعه إلى معرفة الجواب، وقد جاء ذلك متناسبًا مع ما تهدف إليه هذه الأحاديث من التأكيد على ضرورة الالتزام بالحجر الصحي، وخطورة الفرار من أرض الوباء، وتثبيت هذه المعانى في وعي كل مسلم، وفي العقل والضمير الجمعي للأمة كلها.
- ظهرت المقابلة البلاغية في أكثر من موضع في أحاديث الجر الصحي، وكان لها دور بارز في التأكيد على معنيين: الأول: طلاقة القدرة الإلهية، فالطاعون الذي كان عذابًا على كل الأمم تحول بفضل الله رحمة وثوابًا وأجرًا عظيمًا للأمة الإسلامية. والآخر: التأكيد على الوعد والوعيد، الوعد بأجر الشهيد لمن أقام في أرض الوباء صابرًا محتسبًا، والوعيد بعقاب شديد كعقاب الفار من الزحف لمن فر هاربًا، وبهذا يتأكد الجزاء الخاص لكل منهما في ذهن المخاطب، وتكون الصورة في ذهنه واضحة جلية، وفي هذا تأكيد بعد تأكيد، وإبراز للمعنى الكلي للحديث في صورة واضحة قوية مترابطة.

- اتسمت كثير من جمل هذه الأحاديث وتراكيبها باللهجة الحاسمة، واللغة القاطعة، والتي تلائمت مع مقصده- ﷺ- من التحذير من مخالفة قواعد الحجر الصحي والفرار من أرض الوباء.
- أخيرًا أسجل قصوري وعجزي عن إدراك أسرار بيانه- ﷺ-، " وهل يدرك المرء من آثار الشمس غير الضوء والحرارة؟ وهل يعلم من أسرار الروض غير العطر والنضارة؟ وهل يجد في نفسه من أغوار البحر غير الشعور بالجلالة والروعة؟ (١). وأسأل الله – ﷻ – أن يبعد عنا وعن الأمة الإسلامية شر الأوبئة والأسقام، وأن يفيض علينا بالصحة والمعافاة والأمن والسكينة، كما أسأله – جل في علاه- أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يغفر لي ما به من زلل، وألا يحرمني شرف صحبة النبي محمد – ﷺ في الآخرة والشرب من يديه الكريمتين شربة هنيئة لا أظمأ بعدها أبدًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(١) وحي الرسالة ، الأستاذ / أحمد حسن الزيات ، جـ٣ صـ١٠٥ دار الثقافة. بيروت ، ط السادسة، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

ثبت بالمصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- الأسلوب – أحمد الشايب – مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.
- إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة– د/ عبد الجواد الصاوي – دار جياد للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض: ت: د/ يحيى إسماعيل – دار الوفاء للنشر والتوزيع مصر، الطبعة الأولى : ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- البرهان في علوم القرآن: بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْن بهادر الزركشي – ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاؤه – الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد – عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط ١ – دمشق – دار القلم – ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.
- بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، د / عودة خليل عودة ، دار البشير – الأردن – ط الثانية – ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.
- التحبير: د محمود توفيق سعد – مكتبة العمروسي– القاهرة.
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور– الدار التونسية للنشر – تونس – ١٩٨٤هـ.

- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) – محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي – ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر– دار طوق النجاة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- حاشية الدسوقي على مختصر السعد – محمد بن عرفة الدسوقي – ضمن شروح التلخيص – مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثانية: ١٣٤٢هـ.
- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني: د/ محمد محمد أبو موسى: ٢٤٨ مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة: ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.
- السنة النبوية وحي – خليل بن إبراهيم ملا خاطر – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سمت الكلام الأول– د محمد أبو موسى – مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك : محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري – ت: طه عبد الرءوف سعد : مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- الطب الوقائي في الإسلام– أحمد شوقي الفنجري– الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة. الطبعة: الأولى ٢٠٠٥م.
- العدوى بين الطب وحديث المصطفى ﷺ– د/ محمد علي الباز– دار السلام للطباعة والنشر والترجمة ١٩٩٩م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: – دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.
- فيروس كورونا المستجد (Covid-19) المعتقدات عنه والاتجاهات نحو المريض المصاب به لدي عينات متباينة من افراد الشعب المصري دراسة سيكومترية، سليمان عبد الواحد يوسف، المجلة التربوية العدد الخامس والسبعون يوليو ٢٠٢٠م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير– زين الدين محمد، المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري – المكتبة التجارية الكبرى – مصر. ١٣٥٦هـ.
- قبسات من الطب النبوي والأدلة العلمية الحديثة – حسان شمسي باشا– مكتبة السوادي للنشر والتوزيع– الطبعة الأولى١٩٩١م.
- قراءة في الأدب القديم– د/محمد أبو موسى – مكتبة وهبة– القاهرة.
- لسان العرب – جمال الدين بن منظور الأنصاري الإفريقي، دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل– أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – ت: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون –– إشراف : د عبد الله بن عبد المحسن التركي – مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : جمال الدين ابن هشام – ت: د مازن المبارك / محمد علي حمد الله : دار الفكر – دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.
- المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى– ت: صفوان عدنان الداودي : دار القلم، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

- المنهل الحديث في شرح الحديث- د / موسى شاهين لاشين – دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.
- الموسوعة العربية العالمية : مجموعة من العلماء – مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية : ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- وحي الرسالة : أحمد حسن الزيات، دار الثقافة. بيروت، ط السادسة، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

فهرس الأحاديث النبوية
التي قامت عليها الدراسة

م	راوي الحديث	مطلع الحديث	رقم الصفحة
١	أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ	الطَّاعُونُ رِجْسٌ	٧١٠٨
٢	جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ	الْفَارُّ مِنَ الطَّاعُونِ كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ	٧١١٨
٣	عَائِشَةَ بِنْتُ أَبِي بَكرٍ	أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ	٧١٢٣

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٧٠٩٩
٢	التمهيد	٧١٠٢
٣	المبحث الأول: الأمر بالحجر الصحي	٧١٠٨
٤	المبحث الثاني: التحذير من الفرار من أرض الوباء	٧١١٨
٥	المبحث الثالث: الطاعون رحمة للمؤمنين	٧١٢٣
٦	الخاتمة	٧١٣١
٨	ثبت بالمصادر والمراجع	٧١٣٤
٩	فهرس الموضوعات	٧١٣٩